

تاریخ الصوم



ـ إنَّ الصِّيَامَ مِنْ أَقْدَمِ الْعَبَادَاتِ الَّتِي أَخَذَ الْإِنْسَانُ يُمْارِسُهَا مِنْذَ قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَبِذَلِكَ صَرَّحَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ (١٨٣) فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الْأَذْنِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (البقرة/ 183).

فهو ليس من مختصات الدين الإسلامي الحنيف وليس المسلمين قد انفردوا بهذه العبادة عن غيرهم من الأمم السابقة.. فإنَّ المصريين القدماء واليونانيين والرومان نبيين والهنود، كانوا يصومون وكذلك ذوي الأديان الأرضية كالصائنة والممانوية والبرهمية والبوذية، وحتى السماوية كاليهودية والنصارى.. فقد وردَ في التاريخ، إنَّ المصريين القدماء كانوا يصومون تعبدًا وتنزعاً وخوفاً للهؤالم وكذلك اليونانيين كانوا يصومون تعبدًا للآلهة الزيارة.. وأما الرومان فيون، فقد عرفوا بكثرة صيامهم وكذلك لأنَّهم خصموا أيامًا معلومة لصيامهم تعبدًا للآلهة.. وكذلك كانوا يصومون كلما نزلَ بلاء عليهم أو ألمَت بهم ملمةً وذلك لطلب الرحمة والمغفرة والاستعطاف من الآلهة.

وأما الهنود، فقد خرقوا الحدود في صيامهم وذلك لأنَّهم يصومون أيامًا عديدة بلا طعام ولا شراب، وذلك لأجل وصولهم إلى رضا الآلهة واستطاعها والتقرب إليها.

وأما صوم الصائنة والممانوية والبرهمية والبوذية، فقد كان الصوم مفروضاً عليهم ومشرعاً لهم كاليهود والنصارى.. فقد جاء في كتاب ابن النديم المسمى بالفهرست:

"إنَّ شَرِيعَةَ الْحَرَّانِيَّينَ الْمُعْرُوفَينَ بِالصَّائِنَةِ أَوِ الصَّائِنَيْنِ، وَهِيَ دِيَانَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى تَقْدِيسِ الْكَوَاكِبِ تَفْتِيرِضُ عَلَيْهِمُ الصِّيَامَ ثَلَاثِينَ يَوْمًاً، فَإِنَّهُمْ يَصُومُونَ الشَّهْرَ تَكْرِيمًاً لِلنَّقْمَرِ وَيُخَصِّصُونَ تِسْعًاً فِيهِ تَكْرِيمًاً لِرَبِّ الْبَحْتِ، وَسَبْعَةً مِنْهُ تَكْرِيمًاً لِلشَّمْسِ وَهِيَ رَبُّ الْخَيْرِ عِنْهُمْ".

وصيامهم هو عبارة عن الامتناع والإمساك عن جميع المأكولات والمشروبات وذلك من طلوع الشمس إلى

وأما صيام المانوية - وهي الديانة التي ظهرت في إيران في القرن الثالث الميلادي - فكما ذكر ابن النديم في كتابه أنّ لديهم أنواعاً كثيرة من الصيام بمقابلة معينة دورية، "إذا نزلت الشمس القوس وصار القمر كلّه نوراً يصوم يومان لا يفتر بينهما، فإذا أهلَّ الهلال يصوم يومان، ثمّ بعد ذلك يصوم إذا صار نوراً يومان في الجدي، ثمّ إذا أهلَّ الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصوم حينئذٍ ثلاثة يوماً، وصومهم كصوم الماء".

وأما صيام الديانة البرهمية وهي الديانة الهندية، فقد جاء أنّ شريعة البرهمية أوجبت الصيام على طبقة الكهنة أيام الإعتدال وهم أولاً فصل الربيع وأول فصل الخريف، وفي أيام الإنقلاب وهم أوّل فصل الشتاء وأوّل فصل الصيف، واليوم الأوّل واليوم الرابع عشر من كلّ شهر قمري وفيكسوف الشمس.

وأما صيام البوذيين، فإنّ الديانة البوذية تفرض الصيام من شروق الشمس إلى غروبها، وذلك في أربعة أيام من كلّ شهر قمري، ويُسمّونها أيام (البوذات) وهي اليوم الأوّل واليوم التاسع والخامس عشر والثاني والعشرون، كما فرضت فيها الراحة الكاملة وحرمت مزاولة كلّ الأعمال وحتى إعداد طعام الإفطار، ولذلك يعمل الصائمون على إعداد طعامهم قبل شروق الشمس من كلّ يوم من هذه الأيام الأربع.

اليهود والصوم:

إنّ اليهود يصومون خمسة أيام من كلّ سنة، ولكن الذي فرضته شريعتهم عليهم هو يوم واحد، وهو اليوم الرابع والعشرون من الشهر السابع، وأما بقية الأيام فيصومونها تذكاراً للمصاب والرزايا التي حلّت بهم.. والأيام التي يصومونها هي:

- اليوم الرابع والعشرون من الشهر السابع.
- اليوم التاسع من الشهر الرابع من كلّ سنة وهو يوم استيلاء الكلدان على أورشليم القدس.
- اليوم العاشر من الشهر الخامس وهو يوم احتراق الهيكل والمدينة.
- اليوم الثالث من الشهر السابع وهو يوم استباحة نبوخذنصر لأورشليم القدس.
- اليوم العاشر من الشهر العاشر، وهو يوم حصار أورشليم.

والصوم عند اليهود هو الإمساك عن الأكل والشرب وقد جاء في كتاب الصوم والأضحية للدكتور علي عبد الواحد وافي، "ولديهم كذلك أنواع أخرى مستحبة من الصيام دورية ويصومون تخليداً لذكرى وفاة أنبيائهم وعلمائهم كموسى وهارون والشهداء أو لذكرى حوادث أخرى في تاريخهم ويبلغ عددها خمسة وعشرين يوماً".

النصارى والصوم:

وأما النصارى، فقد اختلفت الطوائف المسيحية تحديد صومها كمّاً وكيفاً، أي من حيث تحديد أيامه وتحديد شكله إلى مذهب وطرق متعددة.. فأما الصوم عند الطائفة الكاثوليكية، فهو عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب يوماً وليلة، وذلك كصومهم يوم الأربعاء تذكاراً للحكم على السيد المسيح وصومهم يوم الجمعة وهو يوم صلبه على حسب اعتقادهم وهذا يوم ليسا فرضاً واجباً وإنّما مستحبماً.. وأما

الصوم الواجب عندهم، هو الصوم الكبير السابق لعيد الميلاد، وهو الذي صامه موسى وعيسى - عليهم السلام - والحواريون.. وفي القرن الخامس للميلاد أحدثت الكنيسة فرضاً جديداً وهو صوم الأربعاء الأربعة وهي:

- 1 الأيام السابقة للميلاد.
- 2 والعنصرة.
- 3 عيد انتقال العذراء.
- 4 عيد جميع القديسين.

وأما صوم طائفة الأرمن والأقباط والنساطرة فهم يصومون يوم الأربعاء والجمعة من كل " أسبوع بالإضافة إلى عشرة أيام بسبعين من كل " سنة.. وأما الصوم عند طائفة البروتستانت فهو مستحبٌ وليس فرضاً واجباً .. وصيامهم هو إمساكهم عن الأكل فقط، ومع كل " ما تقدم من صوم اليهود والنصارى، فقد جاء في تفسير الميزان للسيد الطباطبائى:

"إِنَّهُ لَا يوجِدُ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ الْمُوْجُودُينَ عِنْهُمْ مَا يَدْلِيُّ عَلَى وجوب الصوم وفرضه بل الكتابان إِنَّمَا يَحْدُثُ مَا يُعْطَى مَنْ أَمْرَرَهُ، لِكُنْهُمْ يَصُومُونَ أَيَا مَا مُعَدُّوْدَةُ فِي السَّنَةِ إِلَى الْيَوْمِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ".

الصوم عند المسلمين:

قال الله سبحانه وتعالى في حكم كتابه المجيد في سورة البقرة / آية 183:

(يَـا أَيُّهـَا الرـَّسـُولـِينـَ آمـَنـُوا كـُتـبـَ عـَلـَيـِكـُمـُ الـَّصـِيـامـُ كـَمـَا كـُتـبـَ عـَلـَيـِ الرـَّسـُولـِينـَ مـِنـَ قـَبـْلـِكـُمـُ لـَعـَلـَّكـُمـُ تـَتـَّقـُونـَ).

فإن الله سبحانه وتعالى أنعم على أمة محمد (ص) بفرض الصيام في شهر رمضان المبارك، فقد روى عن الإمام الصادق (ع):

"إن شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا وإنما فرضه على الأنبياء دون الأمم، ففضل الله بهذه الأمم دون الأمم وجعل صيامه فرضاً على رسول الله (ص) وعلى أمته".

وعنه (عليه أفضل الصلاة والسلام):

"إن شهر رمضان كان واجباً على كل نبي دون أمته، وإنما وجب على أمة محمد (ص) محبة لهم".

وهكذا فإن شهر رمضان المبارك، شهر تشعي فيه الأنوار، ويدخل الروحانية إلى قلوب المؤمنين، ويظهر القلوب من الآثام ويقرّ العباد إلى طاعة الله ورضوانه.. فإن روحانية قدسيّة شهر رمضان تأخذ دورها في نفوس المسلمين في جميع أدوار التاريخ وعصوره، حتى جاء دور العباسيين يتظاهرون بالطاعة والعبادة فيه، وأخذوا يعدون فيه الولائم الضخمة لإفطار الفقراء.

وكذلك إذا انتقلنا إلى العهد الفاطمي، فنرى فيه بكل جلاء ووضوح كيف كانوا يُعطّلُون هذا الشهر، وهم يستقبلونه بمظاهر دينية.. ويروي لنا المقريزي وهو المؤرخ المشهور للعصر الفاطمي عن الإهتمام العظيم والعنابة الكبيرة التي كان الخلفاء في العهد الفاطمي يُظهرونها لشهر

رمضان المبارك، فلقد أحاطوه بأنواع الحفاوة والتكريم والمزايا..

ومن تلك المزايا والتكريم في العهد الفاطمي (موكب الرؤية) وهو بمنزلة إشعار بدخول شهر رمضان المبارك، فكان الخليفة يخرج في موكب رسمي تُحيطه الأُبَّهة والعظمة إلى المسجد، وإذا ما ثبت هلال شهر رمضان عاد ذلك الموكب إلى القصر، فتستقبله عند مدخله عرالٌّية القوم بالموشحات الدينية والأذكار والدعاء ومن ثم يوزع عليهم المال ابتهاجاً بهذا الشهر المبارك.

وكأنوا يقيمون الحفلات وولائم الإفطار والسحور لتكريم العلماء وكبار القوم والفقراء طيلة الشهر ويبدُّل فيها من أنواع الطعام الشيء الكثير.. وكان الشخص الذي يتَّجاهر بالإفطار في ذلك العهد يؤخذ ويركَّب على دابةٍ معكوساً يجعل وجهه إلى ذيل الدابة وخلفه إلى رأسها ويُلْطَّخ وجهه بالعسل ليكون مجمعاً للذباب والحشرات ويُطاف به في الأزقة والطرقات ثم إن عاد ثانية يُضرب وفي الثالثة يُقتل.

المصدر: كتاب في رحاب شهر رمضان